سمعنا صوتاً كالصوت الذي ذكرتهُ سابقاً يقول «اسرعوا اسرعوا نوّموني فانني مائت» . فحاولت بأسرع من لمح البصر ان اوقظهُ فما كاد يستيقظ حتى رأيناهُ امامنا جثةً بلا حراك لينّة كالعجين فأمرنا بتكفينهِ ودفنهِ

سليم عبد الاحد

معبودات المصريين

لايخفى ان تاريخ المصريين الاولين من اغمض التواريخ واخفاها آثاراً لقِدَم هذه الامة و بُعد العهد باوائلها الى ما قبل زمن التاريخ بمُدَد متطاولة. واقدم ما يتناقلهُ الرواة من امرها لا يتعدى خمسة آلاف سنة قبل التاريخ الميلادي وهو العهد الذي قامت فيهِ اول سلالة من ملوكهم بعد عهد الكهنة الا ان الآثار الباقية عنها تدلّ على ان الحضارة كانت منتشرة بينها قبل ذلك بآلافٍ من السنين

اما اصل هذه الامة فاكثر المؤرخين على انها من بلاد النوبة وكان اول من ورد منها على وادي النيل شراذم من الرعاة نزلوا على جوانبهِ فرتعوا منها في ارضٍ طيّبة ومرعىً خصيب ثم كانوا يتبسطون شمالاً كلما اتسعت الارض امامهم بما تزيد اتربة النيل في اطرافهـا . وهو محصّل قول ديودورس وجماعةٍ من المتأخرين استدلالاً بما يُرَى من الشبه بين ملامح المصريين الاولين وسكان النوبة الحاليين . الا ان هذه الملامح انتسخت على تراخي الزمن بما طرأ على السلالة المصرية من الامتزاج بالامم التي استولت على البلاد طوراً بعد طور بحيث لم يبقَ فيهم شيءٌ من شبه اسلافهم

لاولين . وفي رأي بعض المحققين ان المصريين يرجعون الى سلالةٍ ساميّة الاصل وردت مصر عن طريق برزخ السويس فدحرت من وجدته على شواطئ النيل من السلالة النوبية الى داخل البلاد واستقرّت في مكانها . ومن هذه السلالة كان مبدأ الحضارة المصرية خلافاً لما ذهب اليهِ ديودورس من ان المصريين اخذوا معبوداتهم عن الحبشة لان اقدم ما يُرَى في بلاد الحبشة من آثار المعبودات المصرية لا يتعدى زمن البطالسة فهي ولا ريب مما اقتبستهُ الحبشة عن مصر عند توحيد السلطة في البلادين في العهد المذكور

على ان المعبودات الاولى سواءٌ كانت في مصر ام الحبشة لم تكن تخرج عن العوامل الطبيعية من نحو النار والمآء والهوآء وعن بعض الحيوانات النافعة او الضارّة على ما هو معروف من شأن كل امةٍ في حال بداوتها الاولى . على ان المصريين كانوا يعبدون خلا ذلك بعض الاجرام السماوية كالشمس والقمر وغيرهما من معبودات الصابئة وقد كان هذا المذهب لذلك العهد فاشياً بين العرب وغيرهم من سكان غرب آسيا وهو مما يؤيد ما تقدم ذكرهُ من اصل الحضارة المصرية . ثم ان هذه العبادات استمرّت بينهم يتنحلها الخلف عن السلف الى آخر عهدهم وحين بلوغهم اقصى مبالغ العلم والفلسفة فضلاً عما زادوا عليها مما لا يخرج عن مشاكلتها بيد ان معنى تلك المعبودات كان عند ذوي العلم منهم على خلاف ما كان عليهِ عند العامة وعلى غير ما كان في اعتبار المتقدمين من اسلافهم على ما سنعود الى بيانه

وذكر هيرودوطس ووافقهُ ديودورس ومانيتون انهُ كان قبل عهد

مَنَس رأس السلالة الاولى من الفراعنة ثلاث سلائل من الآلهة كان الكهنة يصدرون عن وحيهم ويبرمون الاحكام باسمآئهم وكانت مدّة ملكهم جميعاً على ما قدَّرهُ مانيتون ١٦٩٧٢ سنة . واقدم تلك الآلهة اوزيريس وايزيس وهما توأمان وُجدا من تلقآء انفسهما ثم تزوج اوزيريس بايزيس فولدت هُورُوس وهو الشمس فكان الثلاثة الهاً واحداً هو اله الخير. الاّ ان اوزيريس كان مسلَّطاً على مملكة الاموات ولذلك كان كلّ محنَّطٍ يسمى اوزيريان . وكان لاوزيريس اخٌ يسمى تِيفُون وهو اله الشرّ والظلمة والجدب ولهُ توأمةٌ ايضاً تسمى نفتيس تزوج بها ولم يُذكَر انها ولدت لهُ لكنها ولدت من اوزيريس ولداً سُمّي انوبيس وهو اله الجحيم

وبنى اوزيريس مدينة ثيبة ووضع الشرائع والعبادات وسنّ الزواج واستنبط الكتابة والصنائع . ودار في خلَدهِ بعد ذلك ان يعمّم المَدَنية في الارض فجمع جيشاً كبيراً وانطلق بهِ شرقاً حتى بلغ الهند ودوّخ هذه البلاد كلها واخضعها لسلطانهِ . وكان عند خروجهِ قد فوّض الى اخيهِ تيفون ان يتسلط على الصحرآء شرقيّ مصر ولكن تيفون طمحت نفسهُ الى الاستيلآء على البلاد بأسرها فوجهت اليهِ ايزيس دجُوم وهو هركول عند اليونان فدحرهُ . فلما قفل اوزيريس من رحلتهِ احتال عليهِ تيفون حتى اغتالهُ ثم جعل جثتهُ في تابوت والقاهُ في النيل . فاشتدّ الامر على زوجتهِ ايزيس وبعثت من يبحث عنهُ في النيل حتى عثرت على جثتهِ فدفنتها ولكن تيفون اخرج الجثة من القبر وقطّعها اربع عشرة قطعةً فرّقها في كل ارض مصر فعادت ايزيس ودفنت تلك القِطَع في مواضعها الا واحدةً

منها وشادت فوق مدفن كلٍّ منها هيكلاً . ثم جرّدت جيشاً على تيفون سيّرتهُ تحت إمرة ابنها هوروس فكانت بينهما واقعتان اجلت الثانية منهما عن قتل تيفون . وشاع بين المصريين بعد ذلك ان نفس اوزيريس حلّت في ثور ومن هنا نشأت عبادتهم للعجل المسمى آپيس لاعتقادهم انهُ هو اوزيريس بعينهِ وكانوا يقيمون لهُ عيداً سنويًّا فكان كل مصريٍّ يذبح في ذلك اليوم خنزيراً على باب منزلهِ

وكان من اشهر قبور اوزيريس قبرٌ لهُ في جزيرة فيلي بالصعيد وهي المعروفة اليـوم بجزيرة الهَيْف او البِربا وكانت مقَدِساً لعبادتهِ يؤمّها المصريون من كل بلد ولا يزال فيها بقايا هيكلٍ لهُ وهيكلين آخرين احدهما لايزيس والآخر لتيفون . وكانوا يمثلون اوزيريس بهيئة رجلٍ على رأسهِ تاجٌ مُصفَح او رجلٍ برأس ثور او رأس باشقٍ او كُركيّ ويمثلون ايزيس بشكل فتاةٍ على رأسها قرنان او هلال . وكانوا يبنون بجانب كل هيكلٍ من هياكل آلهة الخير هيكلاً صغيراً لتيفون يسمونهُ بالهيكل الاسود وكان يُحتفَل بتيفون في مدينة هيَرَكليُوپُوليس الصغرى ولذلك أُطلق عليها تيفونوپوليس اي مدينة تيفون (ستأتي البقية)

الحشرات السامّة

ما زال هذا الوجود مُعتَرَكاً يتنازع فيهِ الاحيآء اسباب البقآء فلا يستتبّ بقآء فريقٍ الا بفنآء غيرهِ سُنّة الله في خلقهِ الى ان تدور على الكل دائرة الفنآء . فاذا تأملت الاحيآء من كل نوع وجدتها جنوداً مجنّدة